

## التدبر

(مفهومه وأركانه وأنواعه)

لفضيلة الدكتور: خالد بن عثمان السبت<sup>(١)</sup>

### مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:  
فإن هذه الدراسة ستتناول أربعة محاور:

- الأول: تحرير مصطلح التدبر، وذلك من أربعة جوانب:

- ١- في بيان أصل المعنى العام للتدبر في كلام العرب.
  - ٢- في بيان المعنى العام للتدبر (المعنى الاصطلاحي، العرفي).
  - ٣- في معنى تدبر القرآن خاصة.
  - ٤- في ذكر بعض عبارات المفسرين في معنى التدبر.
- الثاني: علاقة التدبر ببعض المصطلحات القرآنية الأخرى المُقَارِبَة.
- الثالث: أركان التدبر.
- الرابع: أنواع التدبر.

والله أسأل التسديد والتوفيق

---

(١) أستاذ مساعد في كلية التربية (قسم الدراسات القرآنية) بجامعة الدمام.

## تحرير مصطلح التدبر

### ١- أصل معنى التدبر في كلام العرب:

التَّدْبَرُ: مصدر (تَدَبَّرَ)، وأصل هذه المادة: (د ب ر) يدل على آخر الشيء وخَلْفِهِ<sup>(١)</sup>.

يقال: دبر السهم الهدف: سقط خلفه، ودبر فلان القوم: صار خلفهم<sup>(٢)</sup>. وقد اشتقوا من (الدُّبُر) فعلاً، فقالوا: تَدَبَّرَ: إذا نظر في دُبُر الأمر، أي: في غائبه أو عاقبته<sup>(٣)</sup>.

فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة<sup>(٤)</sup>.  
ودُبِّر كل شيء: عَقِبَهُ ومُؤَخَّرُهُ.

ومنه (الدُّبُر) خلاف القُبُل، وفي الحديث: «لا تدابروا»<sup>(٥)</sup> وذلك أن يترك كل واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه<sup>(٦)</sup>.  
أي: لا يولي بعضكم بعضاً دبره<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٤) (كتاب الدال، باب الدال والباء وما يثلثهما). (مادة: دبر).

(٢) انظر: المفردات ص ١٦٤ (مادة: دبر).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٢)، تفسير البغوي (١/ ٥٦٦)، تفسير الكشاف (١/ ٥٤٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/ ١٣٧).

(٥) رواه البخاري (٦٠٦٦، ٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس -رضي الله عنه-

وجاء أيضاً من حديث أبي هريرة وأبي بكر رضي الله عنهما.

(٦) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٤). (كتاب الدال، باب الدال والباء وما يثلثهما). (مادة: دبر).

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٢)، تفسير القرطبي (٦/ ٤٧٦-٤٧٧).

قال أبو عبيد: التدابر: المَصَارِمَة والهجران، مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دُبْرَه وقفاه، ويُعْرِض عنه بوجهه<sup>(١)</sup>.  
ويقال: أدبر القوم: مضى أمرهم إلى آخره<sup>(٢)</sup>.  
ودبر القوم يدبرون دبارًا: إذا هلكوا<sup>(٣)</sup>.  
ودَبِرَ البعير دَبْرًا، فهو أدبر: صار بِقَرْحِه دَبْرًا، أي: متأخرًا<sup>(٤)</sup>.  
ومنه: دُبْر الشهر: آخره.  
ودابر الشيء: آخره.  
ودُبِّر الأمر: آخره.  
والدَّبَار: الهلاك الذي يقطع دابرتهم<sup>(٥)</sup>.  
يقال: فلان ما يدري قِبَالَ الأمر من دِبَارِه. أي: أوَّلَه من آخره.  
ومن ذلك: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودَ﴾ [ق: ٤٠] أي: أواخر الصلوات<sup>(٦)</sup>.  
ومنه قيل للنحل (الدَّبْر)؛ لأنه يُعَقَّب ما يُنتفع به<sup>(٧)</sup>. أو لأن سلاحها في أدبارها<sup>(٨)</sup>.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٤٧٧).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٢).

(٤) انظر: المفردات ص ١٦٥ (مادة: دبر).

(٥) انظر: السابق ص ١٦٥. (مادة: دبر).

(٦) انظر: السابق ص ١٦٤. (مادة: دبر).

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٢).

(٨) انظر: المفردات ص ١٦٥ (مادة: دبر).

وهكذا قيل للمال الكثير (الدُّبْر) لأنه يبقى للأعقاب<sup>(١)</sup>.

ويقال: دَبَّر الأمر وتَدَبَّرَه؛ أي: نظر وتَفَكَّر في عَاقِبَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

ويقال: اسْتَدَبَّرَه؛ أي: رأى في عاقبته ما لم يره في صدره<sup>(٣)</sup>.

ويقال: عرف الأمر تَدَبُّراً: أي بأخَرَةٍ.

ومنه قول جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيكم ولا تعرفون الأمر إلا تَدَبُّراً

وقال أكثم بن صيفي لبنيه: يا بَنِيَّ، لا تَدَبَّرُوا أعجاز أمور قد ولت  
صُدُورُهَا<sup>(٤)</sup>.

والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته<sup>(٥)</sup>.

فهو بمعنى التفكير في دُبْر الأمور<sup>(٦)</sup>.

وذلك بأن يُدَبَّر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٨٢/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٨٢/٢)، الكشف (٢٨٤/١)، تفسير القرطبي (٤٧٦/٦)،  
تفسير الخازن (٤٠٦/١) نظم الدرر (٣٤٠/٥).

(٣) انظر: تاج العروس (٢٦٦/١١). (فصل الدال من باب الراء) (مادة: دبر).

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٩٦/١٠)، تفسير النيسابوري (٤٥٥/٢)، اللسان (٢٧٣/٤)، تاج  
العروس (٢٦٥/١١).

(٥) انظر: (اللسان ٢٧٣/٤) (مادة: دبر)، تاج العروس (٢٦٥/١١) (فصل الدال من باب  
الراء) (مادة: دبر)، (مختار الصحاح) (باب الراء، فصل الدال) (مادة: دبر) ص ١١٥.

(٦) انظر: المفردات ص ١٦٥.

(٧) انظر: فتح القدير (٧٨١/١).

التدبير (مفهومه وأركاناه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

ولذا قيل: هو النظر في العواقب بمعرفة الخير، أو: إجراء الأمور على علم العواقب<sup>(١)</sup>.

والتدبير: عتق العبد عن دُبر، وهو أن يقول له: أنت حر بعد موتي<sup>(٢)</sup>.  
ويقال له: مُدَبَّر.

ويقال: إن فلانًا لو استقبل في أمره ما استدبره لهُدِي لوجهه أمره؛  
أي: لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره<sup>(٣)</sup>.

ومما تقدم يعلم أن أصل التدبير: التأمل والتفكير في أدبار الأمور  
وعواقبها؛ أي: فيما لا يظهر منها للمتأمل بادئ ذي بدء<sup>(٤)</sup>.

ثم استعمل في كل تأمل<sup>(٥)</sup>، سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه،  
أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه<sup>(٦)</sup>.

---

(١) انظر: التعريفات ص ٥٦ .

(٢) انظر: المفردات ص ١٦٥ (مادة: دبر)، التعريفات ص ٥٦، تاج العروس (١١/ ٢٦٥)  
(فصل الدال من باب الراء) (مادة: دبر).

(٣) انظر: اللسان (٤/ ٢٧٣)، تاج العروس (١١/ ٢٦٦).

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٠/ ١٩٦)، تفسير الخازن (١/ ٤٠٦)، تفسير النيسابوري (٢/ ٤٥٦)،  
تفسير الألوسي (٥/ ٩٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/ ١٣٧) (١٨/ ٨٧).

(٥) انظر: تفسير الكشاف (١/ ٥٤٦)، تفسير الخازن (١/ ٤٠٦)، فتح القدير للشوكاني  
(١/ ٧٨١)، تفسير الألوسي (٥/ ٩٢).

(٦) انظر: تفسير الألوسي (٥/ ٩٢).

### بيان المعنى العام للتدبر:

التدبر في الأمر: التفكير فيه<sup>(١)</sup>، أي: تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفة ثالثة<sup>(٢)</sup>.

وهو بمعنى قول بعضهم: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نُصبت له<sup>(٣)</sup>.

أي: تَصَرُّف القلب بالنظر في الدلائل<sup>(٤)</sup>.  
وهذا تفسير له بالتفكر.

وبعضهم يفرق بينهما باعتبار أن التدبر: تَصَرُّف القلب بالنظر في العواقب، وأما التفكير: فتَصَرُّفه بالنظر في الدليل<sup>(٥)</sup>.

وعبّر عنه بعضهم بأنه: التفكير في عاقبة الشيء وما يؤول إليه أمره<sup>(٦)</sup>.  
وهو بمعنى قول من فسّره بالنظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء<sup>(٧)</sup>.

وهما تعريفان مُقَارِبان، والله أعلم.

---

(١) انظر: اللسان ٤/ ٢٧٣، مختار الصحاح ص ١١٥.

(٢) انظر: تاج العروس (١١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: تفسير ابن عاشور (١٨/ ٨٧).

(٤) انظر: الكليات ص ٢٨٧.

(٥) انظر: التعريفات ص ٥٦.

(٦) انظر: تفسير الخازن (٤/ ١٥٠).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٦١٢)، التعريفات ص ٥٦.

### معنى تدبر القرآن خاصة (المعنى الشرعي) :

هناك تعريفات متعددة للتدبر وبينها تقارب، فمن ذلك:

- قال الزمخشري: هو تأمل معانيه وتَبَصُّر ما فيه<sup>(١)</sup>.
- وقال: وتدبر الآيات: التفكير فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يَدْبُر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة؛ لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لَقْحَة دُرُور لا يحلبها، ومُهْرَة تُثُور لا يستولدها<sup>(٢)</sup>.
- وقال القرطبي: هو التفكير فيه وفي معانيه<sup>(٣)</sup>.
- وقال الخازن: هو تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتَبَصُّر ما فيه من الآيات<sup>(٤)</sup>.
- وقال أبو حيان: هو التفكير في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء<sup>(٥)</sup>.
- وقال ابن القيم: هو تَحْدِيق نَاطِرِ القلب إلى معانيه، وَجَمْع الفكر على تدبره وتَعَقُّله<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الكشف (١/٥٤٦).

(٢) السابق (٣/٣٧٢).

(٣) تفسير القرطبي (٦/٤٧٦).

(٤) تفسير الخازن (١/٤٠٦).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٧٩).

(٦) المدارج (١/٤٥١).

- وقال السعدي: هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك<sup>(١)</sup>.
- وقال ابن عاشور: هو تَعَقُّبُ ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبُرُ ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة<sup>(٢)</sup>.
- وقال الميداني: هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميهِ البعيدة.
- وقيل: هو التفكير والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحِكْمِهِ، والمراد منه.
- وقيل: هو تَفْهَمُ معاني ألفاظه، والتفكير فيما تدل عليه آياته مُطَابَقَةً، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به مما لم يُعْرَج اللفظ على ذِكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العِبْرَةِ منه.
- ويجمع ذلك: النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعِبَر والمقاصد، الأمر الذي يثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية.
- وإنما ذكرت هذه الجملة الأخيرة؛ لأنه قد ورد عن جماعة من السلف تفسير التدبر بالعمل والامثال وما إلى ذلك مما يقع في القلب ويظهر على الجوارح.

(١) تفسير السعدي ص ١٩٣ ط. ابن الجوزي.

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٢٥٢).



التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

ولا ريب أن هذا يكون أعلى مراتب التدبر، وإلا فقد يحصل ببعض ذلك كما لا يخفى.

- وقال السيوطي: وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأمر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب<sup>(١)</sup>.

### ذكر بعض عبارات المفسرين في معنى التدبر:

من عبارات المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾

[النساء: ٨٢، محمد: ٢٤].

وقوله: ﴿لِيَذَبَّ رُؤُوسُ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ [ص: ٢٩].

- ابن جرير: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظم بها في أي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حُجَجِهِ التي بينها لهم في تنزيله...

- البغوي: أفلا يتفكرون في القرآن<sup>(٢)</sup>.

- ابن الجوزي: ليتفكروا فيها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الإتيان (١/ ٣٠٠).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٥٦٦).

(٣) زاد المسير (٢/ ١٤٤).

- القرطبي: أي: يتفهمونه<sup>(١)</sup>.
  - الخازن: يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره<sup>(٢)</sup>.
  - أبو حيان: أي: فلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرفون عنه؛ فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله<sup>(٣)</sup>.
  - البقاعي: أي: يتأملون<sup>(٤)</sup>.
  - الشوكاني: أفلا يتفهمونه...
  - ابن عاشور: يتأملون دلالاته...<sup>(٥)</sup>.
- وبهذا نعلم أن كلامهم يدور على إعمال الفكر والنظر بالتأمل والتفهم في آي القرآن الكريم للتوصل إلى معانيه ومقاصده. والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ٢٧٥).

(٢) تفسير الخازن (٤ / ١٥٠).

(٣) البحر المحيط (٣ / ٣١٧).

(٤) نظم الدرر (٥ / ٣٤٠).

(٥) تفسير ابن عاشور (٥ / ١٣٧).

## علاقة التدبر ببعض المصطلحات القرآنية الأخرى المقاربة

( التفسير ، التأويل ، البيان ، الاستنباط ، الفهم )

أولاً : علاقته بالتفسير :

إن أصل مادة (التفسير) تدور على الكشف والبيان، يقال: فسّر الكلام، أي: أبان معناه وأظهره، فهو إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي<sup>(١)</sup>.

وأما في الاصطلاح: فهو علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك، يقال في العلاقة بين التفسير والتدبر: بأن بينهما ملازمة؛ وذلك أن التوصل إلى مراد الله تعالى من كلامه يحتاج إلى تدبر ونظر وتأمل، كما أن التدبر يتوقف على معرفة المعنى. والله أعلم.

ثانياً : علاقته بالتأويل :

التأويل يأتي لمعنيين :

الأول: بمعنى التفسير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]. وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ

---

(١) انظر: المقاييس (كتاب الفاء، باب الفاء والسين وما يثلثهما) (٤/ ٥٠٤)، الصحاح

(مادة: فسر) ٢/ ٧٨١، المصباح المنير (مادة: فسر) ص ٣٨٥، واللسان (مادة: فسر)

(٥/ ٥٥)، المفردات (مادة: فسر) (ص ٣٨٠).

(٢) انظر: قواعد التفسير (١/ ٢٩).

صَبْرًا ﴿[الكهف: ٨٢]﴾. وقوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ ﴿[آل عمران: ٧]﴾. على أحد الأوجه في التفسير. فتأويل القرآن بمعنى تفسيره، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «وعلمه التأويل»<sup>(١)</sup>.

(١) الحديث أصله في الصحيحين بغير هذا اللفظ. وقد جاء بهذا اللفظ من غير وجه وبأسانيد مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه عفان الصغار في جزئه (١٧٠)، وابن سعد في الطبقات (٣١٥/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧٦٠)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٠٣٨)، وأحمد في المسند (٢٣٩٧، ٢٤٢٢، ٢٨٧٩، ٣٠٣٢، ٣١٠٢)، وفي فضائل الصحابة (١٨٥٦، ١٨٥٨، ١٨٨٢)، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (١/٤٩٣-٤٩٤)، والحاثر في مسنده (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث)، (١٠٠٦)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣٨٠)، والبخاري (٥٠٧٥)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٥٥)، والطبراني في الصغير (٥٤٢)، والأوسط (١٤٢٢، ٣٣٥٦، ٤١٧٦)، والكبير (١٠٥٨٥، ١٠٦١٤، ١١٢٠٤، ١١٥٣١، ١٢٥٠٦)، وابن عدي في الكامل (٤/٢٥٣)، وأبو الشيخ في جزء فيه أحاديث أبي الزبير عن غير جابر (٩٩)، والحاكم (٣/٥٣٤) وانظر (ص٥٣٦، ٥٣٧)، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر (١/٣١٦)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/٢١٣)، وفي تلخيص المتشابه في الرسم (٦٦٧)، والضياء في المختارة (ج ١٠ رقم ١٦٧، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥)، وانظر منه (١١/١٣).

وقد جاء من حديث ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما، كما عند الآجري في الشريعة (١٧٤٨)، والخطيب في تاريخه (١/١٧٤)، والبغوي في معجم الصحابة (١٤٦٣). ورواه الخطيب في الكفاية (٢/١٧١) عن عكرمة مرسلًا.

ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٦٠) عن محمد بن علي مرسلًا.

التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

وهكذا تأويل الرؤيا يأتي بمعنى تفسيرها كما في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٣٦]. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْجِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]. وقوله: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]. وقوله: ﴿وَمَا مَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]. وقوله: ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥]. فهذا كله بمعنى تفسير الرؤيا.

الثاني: بمعنى ما يصير إليه الشيء في ثاني حال، فتأويل الخبر بوقوع المخبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]. وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ﴾ [يونس: ٣٩].

وهكذا يعبر بـ (التأويل) في الرؤيا بمعنى تحقق الوقوع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ [يوسف: ١٠٠]. كما ورد بمعنى العاقبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩، الإسراء: ٣٥]. في موضعين من القرآن.

وهكذا يعبر بـ (التأويل) عن امتثال المأمور، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن<sup>(١)</sup>. بعد ذلك أقول بأن التأويل له تعلق بالتدبر باعتبار الإطلاقين

(١) رواه البخاري (٨١٧، ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

السابقين، وبيان ذلك: أن تعلقه به من جهة إطلاقه مراداً به التفسير لا يخفى؛ إذ القول فيه كالقول في التفسير.

وأما وجه تعلقه بالتأويل إذا أُريد به المعنى الآخر: فإن ذلك يكون بالامتنال والعمل والتطبيق، وذلك من المعاني الداخلة تحت التدبر، إضافة إلى التفكير في ما يؤول إليه الإنسان، وما يقع في الدنيا والآخرة مما وعد الله به أهل طاعته وأهل معصيته. والله أعلم.

### ثالثاً: علاقة التدبر بالبيان:

البيان: من بان الشيء: إذا اتضح وانكشف.  
هذا من حيث الجملة، ويتقيدُّ معناه بحسب مُتَعَلِّقِهِ، والمقصود هنا: ما يتعلق بالتدبر؛ وذلك بإطلاق البيان على ما يشرح به المجمل والمبهم ويكشف به عن المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]. وقوله: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] <sup>(١)</sup>.  
والقول فيه بهذا الاعتبار كالقول في التفسير من جهة المُلازَمة بينه وبين التدبر.

### رابعاً: علاقة التدبر بالاستنباط:

ترجع مادة (الاستنباط) إلى الاستخراج <sup>(٢)</sup>. قال ابن جرير رحمه الله:

(١) انظر: المقاييس (كتاب الباء، باب الياء وما يثلثهما) (١/ ٣٢٨)، والمفردات (مادة: بان) ص ٦٩.

(٢) انظر: السابق (كتاب النون، باب النون والباء وما يثلثهما) (٥/ ٣٨١).

التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

«وكل مُسْتَخْرِج شَيْئًا كان مُسْتَتِرًا عن العيون أو عن معارف القلوب فهو له مُسْتَنْبِط» اهـ<sup>(١)</sup>.

وبناء على ذلك، فإن الاستنباط من القرآن يكون بمعنى استخراج المعاني والأحكام وألوان الهدايات في العقائد والسلوك وغير ذلك. وهذا يكون نتيجة للتدبر كما لا يخفى. والله أعلم.

#### خامساً: علاقة التدبر بالفهم:

الفهم: قيل: تصور المعنى من اللفظ، وقيل: هيئة للنفس يتحقق بها ما يَحْسُنُ<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك، فإن الفهم يكون نتيجة للتدبر، كما أنه يكون وسيلة لما وراء ذلك من المعاني الداخلة تحت التدبر، فإن من التدبر ما لا يتم إلا بعد الفهم. والله أعلم.

وبهذا نعلم أن بين التدبر والفهم ملازمة، ولا يخفى أن الناس يتفاوتون في الفهم تفاوتاً كبيراً، لكن كلّ يحصل له من التدبر بحسبه.

---

(١) جامع البيان (٨ / ٥٧١).

(٢) انظر: القاموس (باب الميم، فصل الفاء) (٤ / ١٦٢)، المعجم الوسيط (مادة: فهمه) (ص ٧٣٤).

## أركان التدبر

يقوم التدبر على أركان ثلاثة:

**الأول: المتدبر:**

وهذا لا بد فيه من تحقق شروط وانتفاء موانع، كما يلاحظ فيه توفر جملة من الآداب المُكَمِّلة المُعِينة على التدبر ليكون المَحَل قابلاً.

**الثاني: وهو الكلام المتدبر:**

ولا يخفى أن القرآن الكريم بالغ التأثير في النفوس، كما أنه مُيسِّر للفهم، ولكن إذا وُجد المَحَل القابل، غير أننا نعلم أن القرآن يشتمل على العقائد والأحكام والقصص والأمثال والكلام على الدنيا والآخرة، وأحوال القيامة، فقد تكون بعض هذه القضايا أكثر تأثيراً في بعض الناس، كما يكون غيرها أعمق تأثيراً لدى آخرين بحسب مقاصدهم وعمق أفهامهم ولطافة نظرهم.

**الثالث: وهي عملية التدبر نفسها:**

وذلك يُطلَب فيه جملة أمور تتعلق بالقدر المتلو، وطريقة التلاوة، ووقتها، وما إلى ذلك؛ ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»<sup>(١)</sup>.

---

(١) رواه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٦) (معلقاً)، (٢٩٤٩)، والنسائي في الكبرى (٨٠١٣)، وفي فضائل القرآن (٩٢)، وابن ماجه (١٣٤٧)، والبيهقي في الصغرى (٩٩٥)، وفي الشعب (١٩٨١).



## أنواع تدبر القرآن

- النوع الأول: تدبره لمعرفة صدق من جاء به، وأنه حق من عند الله تعالى:

وذلك أن الله تعالى نعى على المنافقين إعراضهم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٨١) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿[النساء: ٨١ - ٨٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن شهادته أيضًا ما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه، فإن العادة تُحيل حصول ذلك بما هو من أعظم الكذب والافتراء على رب العالمين، والإخبار عنه بخلاف ما هو عليه من أسمائه وصفاته، بل ذلك يُوقع أعظم الريب والشك، وتدفعه الفطر والعقول السليمة كما تدفع الفطر التي فطر عليها الحيوان الأغذية الخبيثة الضارة التي لا تُغذي كالأبوال والأنتان؛ فإن الله سبحانه فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة به والسكون إليه ومحبهه، وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه والريبة به وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفطر على حالها لما أثرت على الحق سواء، ولما سكنت إلا إليه، ولا اطمأنت إلا به، ولا أحببت غيره؛ ولهذا ندب الله عز وجل عباده إلى تدبر

القرآن؛ فإن كل من تدبره أوجب له تدبره علماً ضرورياً و يقيناً جازماً أنه حق وصدق، بل أحق كل حق وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً ومعرفة، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فلورُفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان، وعلمت علماً ضرورياً يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية من الفرح والألم والحب والخوف أنه من عند الله، تكلم به حقاً وبلغه رسوله جبريل عنه إلى رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد، وبه احتج هرقل على أبي سفيان، حيث قال له: فهل يرتد أحد منهم سخطاً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فقال: لا! فقال له: وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب لا يسخطه أحد<sup>(١)</sup>.

وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [الحج: ٥٤]، وقوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبا: ٦]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

(١) رواه البخاري (٧).

التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَتُولُوا إِلَّا لِنَبِيِّ ﴿[الرعد: ١٩]، وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَنَازِلُونَ﴾ [الرعد: ٢٧]، يعني أن الآية التي يقترحونها لا تُوجب هداية، بل الله هو الذي يهدي ويُضِلُّ، ثم نَبَّهَهُمْ على أعظم آية وأجلها وهي طمأنينة في قلوب المؤمنين بذكره الذي أنزله فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، أي بكتابه وكلامه ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، فطمأنينة القلوب الصحيحة والفطر السليمة به وسكونها إليه من أعظم الآيات؛ إذ يستحيل في العادة أن تطمئن القلوب وتسكن إلى الكذب والافتراء والباطل» ١. هـ<sup>(١)</sup>.

وذلك يحصل لهم بتدبره من وجوه متعددة، منها:

١. اتساق معانيه<sup>(٢)</sup>.
٢. اتئلاف أحكامه<sup>(٣)</sup>.
٣. «تأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق؛ فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٧١).

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٥٦٧).

(٣) السابق (٨/ ٥٦٧).

(٤) ما بين الأقواس من كلام ابن جرير (٨/ ٥٦٧)، وانظر أيضاً: تفسير البغوي (١/ ٥٦٦)،

المحرر الوجيز (٢/ ٦١٢)، تفسير الرازي (١٠/ ١٩٦)، تفسير الخازن (١/ ٤٠٦)، =

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أفلا يتدبرون القرآن فيفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه»<sup>(١)</sup>.

٤. صدق ما تضمنه من الإخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلية. ومن ذلك: كشف خبايا وخفايا المنافقين وإظهار ذلك، وهم يعلمون صدق ما أخبر به عنهم<sup>(٢)</sup>.

٥. ما حواه من ألوان الأدلة والبراهين التي يخضع لها كل مُنصف مُريد للحق مُتجرد من الهوى<sup>(٣)</sup>.

٦. فصاحته وإعجازه للإنس والجن، عربهم وعجمهم، وهذه سمة لا تُفارقه من أوله إلى آخره، فهو على كثرة سورة وآياته، وطول المدة التي نزل فيها لا تجد فيه تفاوتاً ولا خلافاً في موضع واحد، وهذا لا يتأتى للبشر مهما بلغت فصاحتهم<sup>(٤)</sup>.

= تفسير النيسابوري (٢/٤٥٥-٤٥٦)، تفسير البقاعي (٥/٣٣٩-٣٤٠)، تفسير الألوسي (٥/٩٢)، تفسير ابن عاشور (١/٦٧) و (٥/١٣٧).

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/٨٢)، زاد المسير (٢/١٤٤)، تفسير الخازن (١/٤٠٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/٥٦٦)، تفسير الرازي (١٠/١٩٦)، تفسير الخازن (١/٤٠٦)،

تفسير النيسابوري (٢/٤٥٥-٤٥٦)، البقاعي (٥/٣٣٩-٣٤٠)، تفسير الألوسي (٥/٩٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/٦١٢).

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٠/١٩٦)، تفسير الخازن (١/٤٠٦)، تفسير النيسابوري (٢/٤٥٥-٤٥٦)،

البقاعي (٥/٣٤٠)، تفسير الألوسي (٥/٩٢)، تفسير ابن عاشور (٥/١٣٨)، (٢٦/١١٤).

التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

٧. ما اشتمل عليه من أنواع الهدايات التي تشهد لصحتها العقول - فيما للعقل مجال لإدراكه - وتوافق الفطر السليمة، فهو يدعو إلى كل معروف وخير، وينهى عن كل منكر وشر، فلا تجد فيه ما يجافي الحقيقة والفضيلة، أو يأمر بارتكاب الشر والفساد، أو يصرف عن الأخلاق الفاضلة<sup>(١)</sup>.

- النوع الثاني: تدبره للوقوف على عظاته، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتَعَقُّل أمثاله المضروبة، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب؛ من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

- النوع الثالث: تدبره لاستخراج الأحكام منه، سواء كان ذلك مما يتصل بالعقائد، أو الأعمال المتعلقة بالجوارح، أو السلوك؛ إذ الأحكام تشمل ذلك كله بمفهومها الأوسع.

- النوع الرابع: تدبره للوقوف على ما حواه من العلوم والأخبار والقصص، وما ورد فيه من أوصاف هذه الدار، وما بعدها من الجنة أو النار، وما وصف الله تعالى فيه من أهوال القيامة ونهاية الحياة الدنيا، وأوصاف المؤمنين والكافرين بطوائفهم، وصفات أهل النفاق، بالإضافة

---

(١) انظر: تفسير ابن عاشور (١/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٢١/ ٢١٥)، الواحدي في الوجيز (١/ ٢٧٨)، و(٢/ ١٠٠٤)، تفسير

القرطبي (١٩/ ٢٧٥)، تفسير الألوسي (٢٦/ ٧٤)، تفسير ابن عاشور (٥/ ١٣٨).

إلى الأوصاف المحبوبة لله تعالى، والأوصاف التي يكرهها... إلى غير ذلك مما يلتحق بهذا المعنى.

- النوع الخامس: تدبره للوقوف على وجوه فصاحته وبلاغته وإعجازه، وصروف خطابه، واستخراج اللطائف اللغوية التي تُستنبط من مضامين النص القرآني.

- النوع السادس: تدبره للتعرف على ضروب المُحاجة والجدال للمخالفين، وأساليب الدعوة للناس على اختلاف أحوالهم، وطُرُق التأثير على المُخاطبين، وسُبُل الإقناع التي تضمنها القرآن الكريم.

- النوع السابع: تدبره من أجل الاستغناء به عن غيره سوى السنة فإنها شارحة له.

نقل ابن القيم عن الإمام البخاري قوله: «كان الصحابة إذا جلسوا يتذكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم، ولم يكن بينهم رأي ولا قياس، ولم يكن الأمر بينهم كما هو في المتأخرين: قوم يقرؤون القرآن ولا يفهمونه، وآخرون يتفقهون في كلام غيرهم ويدرسونه، وآخرون يشتغلون في علوم أخرى وصنعة اصطلاحية، بل كان القرآن عندهم هو العلم الذي به يعتنون حفظاً وفهماً وتفقهًا»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية: «وأما في باب فهم القرآن فهو -أي: قارئ القرآن-

---

(١) في الفوائد (ص ١٥٣) وعزاه للحاكم، ولعله أبو أحمد الحاكم صاحب الكنى، وترجمة البخاري ليست في المطبوع منها.

التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

دائم التفكير في معانيه والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحِكْمِهِ عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئاً من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قبله وإلا رده» اهـ<sup>(١)</sup>.

- النوع الثامن: تدبره من أجل تليين القلب به وترقيقه، وتحصيل

الخشوع:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وأخبار أصحابه مشهورة لا تخفى.

(١) مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٠).

- النوع التاسع: تدبره من أجل الامتثال والعمل بما فيه من الأوامر، واجتناب النواهي:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال: «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله»<sup>(١)</sup>.

وعن عكرمة: يتبعونه حق اتباعه باتباع الأمر والنهي، فيحلون حلاله ويحرّمون حرامه ويعملون بما تضمنه<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد -والله- أسقطه كله، ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس! والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كان القراء مثل هذا؟! لا كثر الله في الناس أمثالهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن وهب (كما في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب)، (٢٣)، وابن جرير في تفسيره (٥٦٧، ٥٦٩/٢). وانظر: ابن كثير (٤٠٧/١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥٦٦/٢) بنحو مختصراً.

(٣) رواه سعيد بن منصور (١٣٥ التفسير)، وابن المبارك في الزهد (٧٩٣)، وعبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٤)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧١)، وابن نصر في قيام الليل (المختصر ص ٧٦-٧٧)، والفريابي في فضائل القرآن (١٧٧)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (٣٤)، والخطيب في اقتضاء العلم بالعمل (١٨٠)، والبيهقي في الشعب (٢٤٠٨).



التدبر (مفهومه وأركانه وأنواعه) ————— د. خالد بن عثمان السبت

وبهذا نعلم أن تدبر القرآن يتنوع بحسب تنوع مطالب المتدبرين، وقد قال الشنقيطي رحمه الله: «ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل بها فإنه مُعْرِض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهمًا يقدر به على التدبر، وقد شكَا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] اهـ<sup>(١)</sup>. وبذلك تعلم -أيضًا- ما يقع للناس من التفاوت العظيم في باب التدبر، فمن مُقِل ومُكْثِر.

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله:  
«والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به، وهذا كما فهم

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٤٥٨).

ابن عباس من قوله: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَلَّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، مع قوله: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أن المرأة قد تلد لستة أشهر» اهـ<sup>(١)</sup>.

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ١٢٦) وأثر ابن عباس -رضي الله عنهما- رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٤٤٦) وغيره .